شبكة المعلومات الجامعية

بسم الله الرحمن الرحيم

HOSSAM MAGHRABY

شبكة المعلومات الجامعية

شبكة المعلومات الجامعية

التوثيق الالكتروني والميكروفيلم

HOSSAM MAGHRABY

شبكة المعلومات الجامعية

جامعة عين شمس

التوثيق الإلكتروني والميكروفيلم

قسم

نقسم بالله العظيم أن المادة التي تم توثيقها وتسجيلها

علي هذه الأقراص المدمجة قد أعدت دون أية تغيرات

يجب أن

تحفظ هذه الأقراص المدمجة بعيدا عن الغبار

HOSSAM MAGHRABY

شبكة المعلومات الجامعية

بعض الوثائق الأصلية تالفة

HOSSAM MAGHRABY

شبكة المعلومات الجامعية

بالرسالة صفحات

لم ترد بالأصل

HOSSAM MAGHRABY

جـامعة الزقازيق
كلية الآداب ببنـها
قســم التاريخ
فــرع الإسلامي

B ١٥٨٠٢

أهل الذمة في العراق في العصرين البويهي والسلجوقي

(٣٣٤ - ٥٩٠ هـ / ٩٤٦ - ١١٩٣م)

رســـالة مقدمـــة
للحصول على درجـة الدكتـــوراه
من الطالب

جمعة جمـــال عبد العـــال جنيـــدى

إشـــراف
الأستاذة الدكتورة

صفاء حافظ عبد الفتاح
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة
كلية الآداب - بنها

١٤٢٢هـ / ٢٠٠١ م

جـامعة الزقازيق
كـلية الآداب بنـها
قسـم التاريخ
فـرع الإسلامي

أهل الذمة في العراق في العصرين البويهي والسلجوقي

(٣٣٤ - ٥٩٠ هـ / ٩٤٦ - ١١٩٣م)

رسـالة مقدمـة
للحصول على درجة الدكتـوراه
من الطالب

جمعة جمـال عبد العـال جنيـدى

إشـراف
الأستاذة الدكتورة

صفاء حافظ عبد الفتاح
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة
كلية الآداب - بنها
١٤٢٢هـ / ٢٠٠١ م

المقدمة

المقـــدمة

بسط بني بويه - تلك الأسرة الفارسية - سلطانهم على شرق الدولة الإسلامية في أوائل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي فقد أمتد نفوذهم إلى فـــارس والأهـــواز والري وأصفهان وغيرها ، ، وبعد ذلك أخذ أحمد بن بوية يتطلع إلى المسير إلى بغـداد عاصمة الخلافة العباسية - التي كانت تعاني ضعفا لا حد له - للاستيلاء عليها ، وجاءته الفرصة عندما أرسل إليه بعض قواد بغداد من الأتراك يطلبون إليه المسير إليهم نظـرا لحالة الفوضى والاضطراب التي تعاني منها نواحي العراق في عهد الخليفة المستكفي ، فرحل أحمد بن بويه من الأهواز قاصدا بغداد ، فدخلها يوم ١١ جمادي الآخـــرة ســـنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م ، فقابله الخليفة المستكفي واحتفى به وخلع عليه وعقد له لـــواء أمـــره الأمراء ولقبه " معز الدولة " ولقب أخاه عليا " عماد الدولة " كما لقب أخـــاه حســـن " ركن الدولة " ، وأمر أن تنقش ألقابهم وكناهم على الدنانير والدراهم .

ومنذ دخول بني بويه بغداد وهم يعملون على إضعاف الخلافة العباســـية ، ولـــم تمض أسابيع قليلة حتى عزلوا الخليفة المستكفي وولوا ابنه ولقبوه بالمطيع ، وأصبـــح الخلفاء العباسيون ألعوبة في أيدي البويهيين يولونهم ويعزلونهم كيفمـــا شـــاءوا وأينمـــا أرادوا .

وأنشأ بنو بويه في بغداد إمـــارة وراثيـــة ظلـــت بـــأيدي أحفـــادهم حتـــى ســـنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ، ولم يبق للخلافة العباسية في ظلها رونق ولا وزارة ، وبذلـــك أزداد أمر الخلافة إدبارا ولم يبقى لها من الأمر شيئ البتة . حتى أن البويهيين شاركوا الخلافـــة في مظاهر سيادتها الدينية ، فأصبح أسمهم يذكر مع اسم الخليفة في خطبة الجمعة مـــع أن ذلك كان من الأمور التي كان ينفرد بها الخليفة دون غيره ، كما نقشوا أسماءهم وألقابـــهم مع اسم الخليفة على السكة ، وأرغموا الخلافة على ضرب الطبول أمام دورهـــم أوقـــات الصلاة ، وهذه أمور لم تحدث من قبل وإنما حدثت نظرا لضعف الخلافة

يضاف إلى ذلك أن البويهيين كانوا شيعة زيدية ، ويعتقدون أن الخلفاء العباسيين اغتصبوا الخلافة ، لذا لم يعترفوا بسيادة الخليفة العباسي على العالم الإسلامي .

وظل البويهيون مسيطرين على السلطة دون الخلفاء حتى ضعفت دولتهم لأسباب عدة ، مما أدى إلى سقوط بلدانهم في أيدي أمراء البلاد المجاورة ، وانتهى أمر البويهيين تماما عام ٤٤٧هـ/١٠٥٥م عندما دخل طغرلبك السلجوقي بغداد معلنا أنه يريد القضاء على الخلافة الفاطمية وإصلاح طريق الحج ، وقبض على الملك الرحيم البويهي آخر الملوك البويهيين وبذلك زال النفوذ البويهي الشيعى من بغداد لتدخل الخلافة العباسية تحت سيطرة جديدة أشد قسوة من سابقتها - وإن كانت تتجمل في صورة الحامية للخلافة السنية - وهي الدولة السلجوقية .

وجاء دخول طغرلبك بغداد بعد استعانة الخليفة العباسي القائم بأمر الله به للقضاء على نفوذ بني بويه الشيعة ، فدخل طغرلبك بغداد في رمضان ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ، وبسط سيادته على العراق بعد أن قبض على الملك الرحيم آخر ملوك بني بوية ،ولم يبق طغرلبك طويلا في بغداد حيث غادرها بعد أن قضى على البويهيين ، إلا أنه عاد إليها مرة أخرى عام ٤٥١هـ/١٠٥٩م بعد أن استعان به الخليفة العباسي القائم للقضاء على البساسيري الذي نجح في إزالة الخلافة العباسية من بغداد لمدة عام كامل ، واستطاع طغرلبك القضاء على البساسيري وإعادة الخليفة القائم إلى بغداد مرة أخرى ليصبح بذلك طغرلبك سيد الموقف بلا منازع وسيطر على الخلافة العباسية وأخذ يتصرف في كل شيء حتى في ممتلكات الخليفة الخاصة .

وظلت الدولة السلجوقية قوية مهابة الجانب مسيطرة على الخلافة العباسية حتى موت السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م لينفك عقد الدولة السلجوقية وتتمزق وحدتها وتنقسم إلى دويلات مثل سلاجقة فارس وسلاجقة العراق وسلاجقة آسيا الصغرى وسلاجقة كرمان ، وأخذ سلاجقة العراق في التدهور والضعف حتى سقطت دولتهم في العراق عام ٥٩٠هـ/١١٩٣م على أيدي حكام الدولة الخوارزمية .

وقد تناولت أحد الموضوعات الهامة في ظل حكم الدولتين البويهية والسلجوقية في العراق وهو " أهل الذمة " نظرا لتباين الدولتين من حيث المذهب الذي ترعاه ، فالدولة البويهية ترعى المذهب الشيعي أما الدولة السلجوقية فترعى المذهب السني .

وتعتبر دراسة تاريخ أهل الذمة في العصور الإسلامية من الدراسات الشاقة والشائكة ، شاقة لأن الباحث لا يجد مادة تاريخية تجيب على كثير من العناصر المثيرة للاهتمام ، فالمؤرخون المسلمون لم يذكروا إلا النذر القليل من أخبار أهل الذمة ، وانصب اهتمامهم على تدوين أنباء الخلفاء والفتوحات وسير علمائهم وغيرها من الموضوعات ، ولم يعرضوا في مؤلفاتهم لتاريخ أهل الذمة إلا شذرات قليلة وردت خلال روايتهم للأحداث ذكروها لعلاقتها بالأحداث المروية .

كما أن دراسة تاريخ أهل الذمة من الدراسات الشائكة لأنها تمس أمورا فائقة الحساسية ومن ثم تفرض على الباحثين نوعا من الصرامة الموضوعية ، وهذا وإن كان مطلوبا في كل الأحوال إلا أنها في بحث موضوعه أهل الذمة خاصة في العصرين البويهي والسلجوقي تعتبر ضربا من الفروض القاسية والقيود الشديدة التي يفرضها الباحث على نفسه ، فضلا عن التنبه واليقظة حتى لا يقع الباحث في منزلق الانسياق وراء هوى الذات .

وأهل الذمة اصطلاح عرفه الفقه الإسلامي يطلق على من يجوز عقد الذمة معهم ، وهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، كما يعتبر المجوس أهل ذمة ، وأخذت منهم الجزية عندما أحل ذلك الرسول " صلى الله عليه وسلم " فأخذها من مجوس هجر

وقد حدد الإسلام موقفه بشكل واضح من أهل الذمة أو أهل الكتاب ، فقال الحق سبحانه وتعالى " قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا أننا مسلمون " [1] وقال تعالى " ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون [2].

---

[1] سورة آل عمران ، آية ٦٤ .

[2] سورة العنكبوت ، آية ٤٦ .

وهكذا حدد الإسلام موقفه من أهل الذمة بشكل قاطع فيما يتعلق بالدعوة إليه ، فلقد أمر الله تعالى الرسول والمؤمنين أن تكون الدعوة طيبة تخاطب الناس في رفق لمحاولة إقناعهم ، لا إكراه فيها ولا تهديد ، وأن يكون حوارهم مع أهل الكتاب هادئا

ودراسة موضوع أهل الذمة في العراق يحتاج إلى دقة متناهية في معالجة الأحداث والحكم عليها ، نظرا لأن العراق كان موطنا لديانات كثيرة قبل الإسلام وكذلك بعده حيث عاش فيه اليهود والنصارى والمجوس والصابئة إلى جانب المسلمين.

وقد حظى أهل الذمة بمكانة متميزة لدى الخلفاء العباسيين في العصرين البويهي والسلجوقي حيث كان الكثير منهم مقربين من الخلافة ، وكانت الخلافة تحرص على تعيين الرئيس الديني لكل طائفة ، وتصدر له عهدا ، وتجري له مراسيم خاصة عند توليته .

ولم تتدخل الخلافة في العصرين البويهي والسلجوقي في الشعائر الدينية لأهل الذمة بمنعها أو تغيير مظاهرها وكانت الكنائس تبنى بحرية وتشيد بموافقة السلطة فضلا عن ترميم ما يحتاج منها إلى ترميم .

كما حظى أهل الذمة وبخاصة النصارى برعاية واهتمام الأمراء البويهيين حماة المذهب الشيعي حتى إن أحد النصارى تولى منصب الوزارة في العراق لأول مرة عندما اتخذ عضد الدولة نصر بن هارون النصراني وزيرا له ، وإن كان الوضع تغير في العصر السلجوقي حيث شهد هذا العصر بعض التشدد مع أهل الذمة إلا أن الدولة لم تكن تستغني عنهم لحاجة العمل لهم .

وقد أسهم أهل الذمة بدور سياسي وإداري هام في العصرين البويهي والسلجوقي حيث تولى أهل الذمة وبخاصة النصارى أرفع المناصب في الدولة ، فمنهم من تولى منصب الوزير ، ومنهم من تولى شئون دار الخلافة ، ومنهم من كان له من النفوذ في تولية بعض الوزراء أو عزلهم ، كما استغل بعض أهل الذمة نفوذهم السياسي في إبطال البعض من المراسيم الصادرة من قبل السلطة في حق أهل الذمة .

وفي ظل سياسة التسامح الديني التي تمتع بها أهل الذمـــة فـــي العـــراق فـــي العصرين البويهي والسلجوقي فقد أسهموا بدور فاعل في الحيـــاة الاقتصاديـــة حيـــث أسهموا بنصيب كبير في النشاط الزراعي ، فقاموا بزراعـــة مســـاحات كبـــيرة مـــن الأراضي التي احتفظوا بها ، إلى جانب الأراضي الكثيرة التي كانت في حوزة الأديـوة المنتشرة في أنحاء العراق ، كما كان لهم دور هام في الإنتاج الصناعي ، فضلا عـــن التجارة التي لعبوا فيها دورا مهما .

وقد انتشر أهل الذمة في أنحاء العراق حتى لا تكاد تخلو منهم مدينـــة أو قريـــة وإن آثر بعضهم أن يعيشوا متقاربين ، فأصبح لهم أحياء خاصة بهم في بعض المدن .

وقد ارتدى أهل الذمة في العراق في كثير من الأحيان نفس ملابس المسلمين مما كان يضطر السلطات أحيانا إلى إصدار المراسيم بإلزامهم بالتقيد بالزي المنـــوط بـــهم وهو الغيار إلا أن ذلك لم يكن يستمر العمل به فسرعان ما يعود أهل الذمة إلى لبـــس نفس ملابس المسلمين ، وإن كان التشدد في إلزامهم الزي الخاص بهم فـــي العصـــر السلجوقي أكثر من العصر البويهي .

وقد احتفل أهل الذمة بأعيادهم في العصرين البويهي والسلجوقي بحرية كاملـــة وشاركهم المسلمون في بعض مظاهر الاحتفال ، بـــل إن بعـــض الخلفـــاء والأمـــراء والسلاطين شاركوا أهل الذمة فرحتهم واحتفالاتهم .

وقد كان لتشجيع الخلفاء والأمراء والسلاطين في العصرين البويهي والســـلجوقي للعلم والعلماء أثره في نبوغ الكثير من أهل الذمة في المجالات المختلفة حيث برز منهم الكثيرون في مجالات الترجمة والطب والصيدلة والفلك والرياضيات والفلسفة والمنطق والأدب وغيرها .

ونظرا لطبيعة البحث فقد اخترت لبحثي المنهج الموضوعي التاريخي ، آثـــرت فيه الإلتزام بالموضوع دون التقيد بالتسلسل الزمني للأحداث ، وثم تقسيم الرسالة إلـــى خمسة فصول يعالج كل فصل منها موضوعا قائما بذاته داخل الإطار العام للبحث .

فجاء الفصل الأول تحت عنوان " طوائف أهل الذمة وأحكامهم في العراق " تمهيدا أو مدخلا للبحث ، حيث يتناول تعريف لأهل الذمة وأحكام عقد الذمة وشروطه كما يتناول الجزية وأحكامها ومقدارها ، ثم يتناول طوائف أهل الذمة في العراق وهم اليهود والنصارى والصابئين والمجوس متناولا أهم فرقهم وكتبهم الدينية ومصادر الفكر الديني وبيوت العبادة ورجال الدين .

أما الفصل الثاني فكان عنوانه " الدولة وأهل الذمة " تناولت فيه علاقة أهل الذمة بالخلافة من حيث تعيين رؤساء الطوائف الدينية وكفالة الحرية الدينية لأهل الذمة وتدخل الخلافة لإنهاء المنازعات بين أهل الذمة ، كما تناولت علاقة أهل الذمة بالأمراء البويهيين والسلاطين السلاجقة ، كذلك علاقة أهل الذمة المالية بالدولة ، والقيود التي فرضت على أهل الذمة ، ودور أهل الذمة السياسي والإدارى في الدولة ، والدور السلبي لأهل الذمة في الدولة .

وأفردت الفصل الثالث " أهل الذمة والحياة الاقتصادية " وقد تضمن هذا الفصل النشاط الزراعي لأهل الذمة وكذلك النشاط الصناعي والنشاط التجاري .

أما الفصل الرابع فجاء عنوانه " الحياة الاجتماعية لأهل الذمة في العصرين البويهي والسلجوقي " تناولت فيه الحياة الأسرية لأهل الذمة ، كما تناولت سكن أهل الذمة في العراق والمدن التي تركزوا فيها كما تناولت الملابس التي ارتداها أهل الذمة ، وكذلك أعياد أهل الذمة ومظاهر الاحتفال بتلك الأعياد ومشاركة المسلمين لهم في بعض مظاهر تلك الاحتفالات والفرق بين العصرين البويهي والسلجوقي ، كما تناولت في هذا الفصل علاقة أهل الذمة بعضهم ببعض والتأثيرات المتبادلة بين المسلمين وأهل الذمة .

أما الفصل الخامس فقد تناولت فيه " الحياة الثقافية والعلمية لأهل الذمة " وتناولت فيه الأسباب التي أتاحت لأهل الذمة النبوغ والإسهام بنصيب كبير في الحياة العلمية في العراق في العصرين البويهي والسلجوقي والتي تمثلت في المناخ الذي هيأته الدولة لهم من احتضانها للعلماء من مختلف الأديان وكذلك المدارس المختلفة لأهل الذمة ، كما

تناولت النشاط الثقافي لأهل الذمة في المجالات المختلفة كالطب والترجمة والرياضيات والفلك والفلسفة والمنطق وغيرها وأهم العلماء .

أما الخاتمة فقد تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

وفي النهاية أتقدم بخالص شكري وعظيم احترامي وتقديري إلى أستاذتي الدكتورة / صفاء حافظ عبد الفتاح أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة جزاء ما قدمت لي من نصح وإرشاد كانا خير عون لي طوال خطوات البحث ، كما أفدت من سيادتها نبالة خلق وسماحة نفس وسعة صدر ، فالله أسأل أن يديم عليها الصحة والعافية كما أتقدم بخالص الشكر والعرفان إلى العالمين الجليلين الأستاذ الدكتور / محمود عرفة محمود أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة بكلية الآداب جامعة القاهرة ، والأستاذ الدكتور / بدر عبد الرحمن محمد أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة بكلية الآداب ببنها جامعة الزقازيق ، لتفضلهما بمناقشة الرسالة ، فالله أسأل أن يحقق لهما كل خير وسعادة وجزاهما الله عني وعن العلم خير الجزاء كما أتقدم بخالص شكري وتقديري إلى الدكتور محمد عبد العظيم يوسف مدرس التاريخ الإسلامي بكلية الآداب جامعة الزقازيق على نصحه الأمين .

وإلى روح والدي الكريمين أهب ثواب هذا البحث لروحهما الطاهرة برا بهما وإحسانا إليهما ، وعرفانا بعظيم فضلهما وكريم عطائهما ، لهما مني خالص الدعاء بالمغفرة والرحمة .

وختاما لزوجتي وأبنائي الأعزة عظيم شكري جزاء صبرهم ومعاونتهم التي كان لها عظيم الأثر في إتمام البحث على هذه الصورة .

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجه الله تعالى وأسأله أن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة ، وإن كنت وفقت فمن الله ، وإن قصرت وأخطأت فمن نفسي ، فلا أدعي الكمال فالكمال لله وحده ، والله ولي التوفيق وهو نعم المولى ونعم النصير